الزرقاوي.. الجيل الثاني للقاعدة (الاخيرة):

«القاعدة» وضعت جدولا زمنيا مدروسا لتنفيذ استراتيجيتها واجتياح أفغانستان حولها من تنظيم إلى تيار

«جند الشام» فكرة طُرحت منذ أمد بعيد في أفغانستان.. والقائمون عليها عادوا إلى لبنان وسورية والعراق

فؤاد حسين*

■ الشخصية التي يتناولها هذا الكتاب فرضت أنماطا مختلفة من صنوف التصنيف، تارة أسلوب البحث العلمي المعتمد على القراءة والبحث والتمحيص والتلخيص، وقد أخذ هذا الأسلوب نصيبه في فصول هذا الكتاب، وتارة أخرى الاستماع إلى شهادات العشرات ممن عرفوا الزرقاوي أو رافقوه في مختلف محطات حياته، وهذا أخذ وقتاً طويلا بين تدوين تلك الشهادات، ومن ثم تدقيقها، وتمحيصها، ومقارنة الشهادات بعضها ببعض، للوقوف على المعلومة الدقيقة لاستخدامها بعد التحقق من صحتها، وطرح المعلومة الضعيفة واستبعادها، مالم نستطع التثبت منها، وتارة أخرى الطلب من أشخاص بعينهم أن يكتبوا بأنفسهم إجاباتهم على أسئلة طرحناها عليهم، لكن الشاق في هذا الجانب كان الوصول إلى هؤلاء الأشخاص ممن لهم بصمات واضحة، سواء في تشكيل فكر الزرقاوي أو تشكيل منهجه واستراتيجيته، وكانت هذه المرحلة الأصعب من الكتاب، إذ باتت إمكانية الاتصال مع هؤلاء صعبة للغاية، إن لم تكن شبه مستحيلة، بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، فغالبيتهم إما في السجون أو مطاردون أو مختفون، لكن دون تدوين شهاداتهم، لن يكون للكتاب إضافة معتبرة، فآثرنا تأخير الكتاب شهورا عدة إلى أن وصلنا إلى مبتغانا، وضمنا الكتاب ثلاث شهادات تغطي مراحل تطور مسيرة الزرقاوي.

الشهادة الأولى كانت لأبي المنتصر بالله محمد، وهو الشخص الأول الذي بدأ الزرقاوي معه بناء التنظيم الأول الذي أسسه أبو مصعب عام 1993، وهو تنظيم التوحيد، الذي عُرف لاحقا باسم (بيعة الأمام)، مسجلا بالتواريخ والأسماء والأحداث كل ما تم حتى عام 1999. فآثرنا تلخيص هذه الشهادة دون التدخل في مضمونها، ذلك أن الكثير مما ذكره لم يعد سرا يحمل صفة الجدة، إن لم أقل أنه سبق أن نشر مضمونه بعموميته، لذلك أبقينا على المعلومات التي طرحت للمرة الأولى، وعلى الانطباع الشخصي لصاحب الشهادة وموقفه من تلك الأحداث التي دونها.

الشهادة الثانية كانت للأب الروحي للزرقاوي عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي) الذي التقاه في الباكستان عام 1989، واتفق معه هناك على تشكيل تنظيم ديني في الأردن، وبقي معه في السجن، بادئا معه كرفيق درب وصديق، ثم شيخه الذي ينظر لفكرة التنظيم ويضع أدبياتها، ثم كتابع له بعد أن أصبح الزرقاوي أميرا للمجموعة داخل السجن، ثم منتقدا له وناصحا عن بعد، هو في سجنه بالأردن والزرقاوي في العراق.

الشهادة الثالثة، وهي الأهم كانت للرجل الثالث في القاعدة محمد مكاوي (سيف العدل) الذي يلقي من خلال شهادته الضوء على القدوم الثاني للزرقاوي إلى أفغانستان عام 1999، وأسباب الخلاف بين الزرقاوي وبن لادن، وكيف تم إنشاء معسكر خاص للزرقاوي في هيرات، مبينا طبيعة العلاقة التي كانت قائمة في تلك الفترة بين قيادة القاعدة والزرقاوي، وصولا إلى ضربة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، وأهداف القاعدة من وراء هذه الضربة، موضحا كم تحقق من تلك الأهداف، مرورا باحتلال أفغانستان والخروج إلى باكستان وإيران، كاشفا طبيعة الدور الذي لعبته طهران حينذاك، وبعد ذلك قرار إدخال الزرقاوي إلى العراق والتحضيرات التي سبقت ذلك. وفي محاولة لاستشراف مستقبل القاعدة في العراق من خلال تطور تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين تتبع الكتاب محطات تطور عمل، وشخصية الزرقاوي، خلال السنوات الثلاث الأخيرة. معتمدين معلومات دقيقة تطلب الوصول إليها استقصاء دقيقا وحثيثا، لكل من كان على تماس مع الزرقاوي خلال تلك السنين.

وللوقوف على مستقبل الحرب المفتوحة بين القاعدة، وواشنطن التي تطلق على حربها تلك مصطلح محاربة الإرهاب الدولي، حاورنا العديد من منظري القاعدة سواء ممن ساهموا في صنع استراتيجياتها في وقت سابق أو من باتوا من صناع قراراتها لاحقا، واستمعنا إلى كل ما يجول بخاطرهم، لنرسم للقراء استراتيجية القاعدة حتى عام 2020، والوسائل التي أتبعوها، والخطط التي وضعوها للوصول إلى تحقيق هذه الاستراتيجية.

2. مرحلة فتح العيون

يعتقد مفكرو القاعدة أن مرحلة فتح العيون على الواقع بدأت مع احتلال بغداد في التاسع من نيسان (إبريل) عام 2003، بعد أن استفاقت الأمة على واقع مرير قاسٍ يرسم منظرو القاعدة صورته بأوطان محتلة، وعدوٍ صائل، ثروات منهوبة، حكام لا ينتمون إلى الأمة بشيء، انخرطوا في التآمر عليها حتى لم يعودوا مهتمين بالإبقاء على ورقة التوت التي كانت تستر عوراتهم. حرائر الأمة تغتصب وتنتهك حرماتها على مرأى ومسمع العالم كله، دم الأمة يسيل ويراق على أيدي مجرمين حاقدين متوحشين ولا يوجد من يرد عليهم أو يوقفهم عند حدهم. وعاظ السلاطين من علماء الإرتزاق والإنزلاق يسبحون بحمد أسيادهم ليل نهار، باذلين الجهد الجهيد للإبقاء على حالة التلبيس التي شكلوها في المراحل السابقة. حكومات فاسدة مفسدة أطلقت العنان لزبانية التحقيق والتعذيب في أجهزتها الأمنية للتمادي في قمع وإذلال شرفاء الأمة وطليعتها الخيرة. فقر وعوز ناتج عن الفساد والسرقة وسوء الإدارة والتآمر مع الأجنبي، قاد إلى الانحراف والسقوط.

مرحلة فتح العيون هذه حسب تخطيط وتقدير مفكري القاعدة ستكون مدتها ثلاث سنوات، ستنتهي مع نهاية 2006 تقريباً، هذه المرحلة سوف تتيح للأمة الوقوف على الحقيقة، وكشف المستور واكتشاف الألاعيب والمؤامرات.

وتقوم خطة القاعدة في هذه المرحلة على ادامة حالة الاشتباك مع العدو. ويرون أن الاشتباك مع العدو مهما كانت نتائجه يعد انتصاراً، انطلاقا من قناعتهم أن كل المعارك السابقة مع أعداء الأمة كانت مفبركة، رُسمت سيناريوهاتها ونفذت بدقة، ونتيجتها كانت هزائم متوالية، مما أدى إلى إفقاد الأمة الثقة بالنفس، وبات الحكام المنهزمون يطرحون الأفكار المريضة في ظلها، فالسلام مع اليهود بات خيارهم الاستراتيجي الوحيد الذي لا مجال للتراجع عنه، والاستمرار في عملية الخضوع والركوع للغرب والأمريكان أمر يجب أن يتجذر ولا مناص للانفكاك أو الخلاص منه. كل هذه الأمور مجتمعة أدت بشباب الأمة المخلص إلى محاولة الالتحاق بالقادم الجديد، الذي يسعى للخروج من هذه الدائرة.

القاعدة وقيادتها ونهجها مثلت القادم الجديد المنتظر.

إذا مرحلة فتح العيون أعطت زخماً جديداً للقاعدة، وحولتها من تنظيم إلى تيار يصعب القضاء عليه، ولا يمكن الإحاطة بكل امتداداته وانتشاره، وتوسعه أصبح شبيهاً بالمتواليات العددية، والمتضاعفة دوماً.

القاعدة في هذه المرحلة تخطط وتعد للوصول إلى الآتي:

الإشتباك المباشر مع دولة اسرائيل في فلسطين.

حرق النفط العربي وحرمان الغرب والأنظمة العميلة من الاستفادة من خيراته.

الإعداد لمرحلة الجهاد الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت، وإعطائها أهمية عالية ليبدأ تأثيرها مع بداية المرحلة الثالثة من الخطة المرسومة.

مواصلة البناء الهادئ والهادف في مناطق مهمة من العالم العربي والإسلامي يتولى قيادته الجيل الثاني من القادة الذي دخل في إطار التيار.

اتخاذ العراق قاعدة لبناء جيش من الشباب القادم إلى الجهاد سيعاد نشره مع بداية المرحلة الثالثة في دول الجوار، للبدء بالعمل ضمن أجندة محددة، وغير عشوائية.

إعداد دراسات شرعية سيتم العمل على توزيعها قريباً، توجه المسلمين نحو دفع أموال الزكاة والصدقات للمجاهدين من أجل مساعدتهم على امتلاك الأدوات والأسلحة اللازمة لإنجاح مشروعهم، رداً على سياسة الأمريكان بتجفيف مصادر تمويل (الإرهاب).

إذا تفتحت العيون وإزداد التيار توسعاً وانتشاراً وقوة بدأ الاشتباك المباشر مع اسرائيل في فلسطين، كل هذا يأتي مقدمات لبداية المرحلة الثالثة.

3. مرحلة النهوض والوقوف على القدمين

منظرو القاعدة ومُنظّروها يعطون أنفسهم مساحة من الوقت تقدر بثلاث سنوات أيضاً لتنفيذ هذه المرحلة، تبدأ مطلع عام 2007 وتنتهي مع بداية 2010.

الوقوف على القدمين عندهم، يعني القدرة على الحركة الفاعلة المنتجة، معالم هذه المرحلة وأهدافها المرحلية ستحدث نقلة نوعية مهمة في عملية التغيير في المنطقة المحيطة بالعراق، في البداية سيتم التركيز على الشام. اختيار الشام لم يكن عشوائياً بالنسبة لهم، فهم يستندون إلى الأحاديث النبوية الصحيحة التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، تتحدث عن حصار الشام بعد العراق، تؤيد هذه الرؤية لديهم المخططات الإسروأمريكية لتقسيم الشام ـ سورية الحالية ولبنان وشمال الأردن ـ إلى دويلات طائفية، وكذلك الهجمة الأمريكية الأوروبية على النظام السوري الحالي، بهدف تفكيك أي قوة محيطة بدولة إسرائيل مهما كان نوعها وتركيبتها، لإعادة ترتيب المنطقة من جديد بما يخدم أماني وتطلعات دولة إسرائيل. هذه الهجمة ـ وفق رؤية القاعدة ـ سوف تضعف النظام السوري وتفقده القدرة على الإستمرار في السيطرة الداخلية الفاعلة.

نظرية العمل الإسلامي الجهادي الذي تتبناه القاعدة تقوم على استغلال أي حالة لفقدان السيطرة الأمنية، فكرة جند الشام طرحت منذ أمد بعيد في أفغانستان ولم تكتمل بسبب الغزو الأمريكي، الشباب الذين عملوا على الفكرة عادوا إلى سورية ولبنان وبعضهم الآن موجود في العراق. وقد أعدوا أنفسهم لاستثمار فرصة ما قد يحدث في لبنان حالياً، وفي سورية قريباً، وإذا صحت بعض التحليلات التي تشير إلى أن الإسلاميين هم الذين قاموا بإغتيال الحريري، بسبب علاقته بأياد علاوي المدعوم أميركيا وسعوديا، فهذا يعني أنهم يعملون على حرق المسافات للوصول إلى هذه المرحلة بفترة زمنية أسرع.

في نهاية هذه المرحلة سيكون تيار القاعدة قد أنهى استعداده للبدء بالإشتباك المباشر داخل فلسطين وعلى حدود إسرائيل، وفي حالة ما حصل ذلك، ستُكرس القاعدة قيادة شرعية للأمة الإسلامية دون منازع، سيترتب على ذلك مد بشري هائل لتيار القاعدة، مع زيادة الإمكانات المادية والمالية.

ضرب الإسرائيليين ـ وفق مخططهم ـ لن يقتصر على فلسطين فقط، وإنما سيمتد ليصل بعض المناطق التي يوجد فيها لليهود نفوذ قوي في بلاد المسلمين، المقصود هنا تركيا، كما أشرنا سابقاً في هذا الكتاب، فإنهاء حالة سيطرة يهود الدونما على الجيش ومفاصل الاقتصاد التركي، ستعيد للأمة الإسلامية القدرة على امتلاك قوة عسكرية ومادية لا يستهان بها. إنها القوة التركية المتنامية.

تيار القاعدة في هذه المرحلة سيكسب مداً هائلاً من الشباب المتعلم المعد جيدا، والذي لم يعد متأثراً بعقد الهزائم والنكبات، هؤلاء الشباب سيعطون القاعدة قوة دفع عالية جداً. وهذا المد وهذه القوة المكتسبة سيمكنان القاعدة من الانتقال إلى المرحلة الرابعة من خطتها.

4. مرحلة استعادة العافية وامتلاك القوة القادرة على التغيير

هذه المرحلة مخطط لها أن تبدأ عام 2010، وتنتهي مع بداية 2013. في هذه المرحلة سيتم التركيز على اسقاط الأنظمة عبر الاشتباك المباشر والقوي معها.

يرى مخططو القاعدة أن النهج الأمريكي الحالي في التعامل مع المنطقة العربية، سوف يؤدي إلى كشف كل أوراق الأنظمة الحاكمة، هذا الكشف سوف يؤدي إلى تعريتها وبيان عوارها للقاصي والداني من أبناء الأمة. الأنظمة سوف تفقد مبررات وجودها شيئاً فشيئاً بضعف تدريجي للأنظمة وتنامي مستمر لتيار القاعدة والجهاد الإسلامي، إضافة إلى استنزاف مستمر للقوة الأمريكية عبر توسيع دائرة الإشتباك والمناورة، مما سيجعلها غير قادرة على الاستمرار في دعم جميع الأنظمة على النمط القائم حالياً، إضافة إلى أن تيار الجهاد في هذه الفترة سيكون قادراً على ضرب النفط العربي وإحراقه، مما سيحرم الأمريكان من أهم الدعائم الإقتصادية، وهذا سيزيد في اضعاف الأنظمة التي لم تستطع حتى الآن بناء قدرات اقتصادية بغير الإعتماد على النفط، إضافة لذلك ستكون امكانيات تيار القاعدة الإلكترونية قد اكتملت، وسيكون هذا وقت استخدامها في شن هجمات إلكترونية على الاقتصاد الأمريكي، مما سيؤدي إلى إضعافه، وإمعانا في اضعاف الاقتصاد الأمريكي بدأ مفكرو القاعدة بالعمل على تنفيذ فكرة طرحها حزب التحرير الإسلامي منذ فترة تقوم على ضرورة العودة إلى استخدام الذهب كمقياس وكأداة للتعامل النقدي الدولي، ونشر هذه الفكرة بقوة في العالم، وعمل الدراسات اللازمة التي تدعمها وتؤيدها، سوف يضعف الدولار الأمريكي شيئاً فشيئاً، وسيؤدي إلى كشفه وانهياره السريع في النهاية. هذا الأمر جندت القاعدة له العلماء المتخصصين والباحثين الجادين، ليعلموا على دحض الفكرة والنظرية الإقتصادية التي روجها علماء الإقتصاد اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تنص على عدم وجود ضرورة لدعم العملات بالمعادن النفيسة مثل الذهب والفضة، وإنما يكفي لتقييم قيمة العملة حساب الناتج القومي للدولة، هذه النظرية جعلت الأمريكيين يطبعون عملتهم دون مراعاة أي قيود وشروط. عندما تبطل هذه النظرية، وعندما يحرم الأمريكان من استغلال النفط العربي، مع ازدياد الاستنزاف الدائم للإقتصاد من خلال المعركة المستمرة المتنامية، حينها سيأخذ الشك في القدرات الإقتصادية الأمريكية طريقه إلى المستثمرين اليابانيين والصينيين والأجانب، مما يدفعهم إلى سحب استثماراتهم المهددة من السوق الأمريكي العملاق، عند ذلك سيبدأ هذا العملاق بالتخبط، وسيقوم بتحطيم ما حوله. حينها سيقوم الاقتصاديون الإسرائيليون الأمريكيون المتنفذون في الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه الضربة القاضية للإقتصاد الأمريكي، فمعلومات القاعدة تشير إلى أنهم ومنذ فترة بدأوا بشراء الذهب والمعادن النفيسة، تحوطاً من أي نكسة تصيب الإقتصاد الأمريكي، وتؤثر على الدولار، ويرى منظرو القاعدة أنه عندما ينكشف ما يقومون به، يكون الدولار قد أصبح في مهب الريح، مما سيؤدي الى أن يصب الشعب الأمريكي جام غضبهم عليهم، وسوف يبدأ التحول الكبير في عملية دعم الأمريكان لدولة إسرائيل رويداً رويداً، إلى أن ينقطع هذا الدعم تحت الضغط الشعبي الأمريكي نتيجة المآسي التي قام الإسرائيليون بجر الأمريكان إليها.

انقطاع هذا الدعم أو تخفيفه سيؤدي إلى اضعاف دولة إسرائيل في المنطقة، وتؤمن القاعدة أن إضعاف إسرائيل سوف يخل بمعادلة الإرتباط الجدلي بين قوة الأنظمة وأهمية وجودها، وبين دولة إسرائيل وقوتها ونفوذها في العالم.

حينها.. النتائج كلها سوف تصب في مصلحة تيار القاعدة:

الأمريكيون ضعاف مستنزفون، غير قادرين على الاستمرار في تحمل كل هذه الأعباء الملقاة على عاتقهم في منظومة النظام العالمي الحالي، وإسرائيل التي سوف يدب فيها الضعف شيئاً فشيئاً بسبب الاشتباك القتالي معها من قبل تيار الجهاد في المنطقة، وبسبب التحول والضعف الأمريكي الحاصل، تكون الأنظمة الحاكمة حينها فقدت أهليتها ومقدرتها على الدفاع عن نفسها مع إرتفاع الغطاء الأمريكي الغربي عنها، كل هذه الأمور مجتمعة، سوف يؤهل تيار القاعدة والجهاد الإسلامي إلى الإنتقال إلى المرحلة الخامسة.

5. مرحلة اعلان الدولة

ستكون بداية هذه المرحلة ـ وفق استراتيجية القاعدة ـ مع بداية سنة 2013، وستنتهي مع بداية 2016. في هذه المرحلة سوف تكون القبضة الغربية الأجنبية قد تراخت كثيراً في المنطقة العربية، وستكون اسرائيل غير قادرة على القيام بضربات استباقية وقائية، والمعادلة الدولية ستكون معالمها قد تغيرت؛ فالصين إذا ما قدر لها الإستمرار في حالة النمو التي هي عليها الآن ستكون قوة عظمى حقيقية، وكذلك الهند، وأوروبا لا يمكن أن تستمر على حالة الوفاق التي هي عليه الآن، ـ وفوق تحليل القاعدة ـ لن يسمح الإنكليز باستمرار حالة الوحدة المتنامية في أوروبا، لأنهم يعتقدون أن هذا الأمر لن يكون في صالح التفرد الإنكلوسكسوني في حكم العالم عبر ثلاثة قرون تقريباً، وبالتالي لن يقفوا مكتوفي الأيدي وهم يرون البساط يسحب من تحت أقدامهم. ويرد منظرو القاعدة على من يقولون ـ معترضين على نظريتهم هذه ـ كيف إذا سمحوا بالتفرد الأمريكي، بالقول أن حكام أمريكا كانوا وما زالوا من الإنكلوسكسون، والتنازل البريطاني في منتصف القرن الماضي، لم يكن إلا خدعة انطلت على الشعوب الأوروبية وعلى العالم.

يؤمن منظرو القاعدة أن متغيرات مستقبلية ستحدث، نتائجها ستصب في مصلحة تيار التغيير والجهاد الإسلامي العالمي، سوف تمكنه من إعلان دولة الإسلام، دولة الخلافة، وبعثها حية فاعلة من جديد. هكذا يتوقع منظرو القاعدة وقادتها؛ حالة ضعف عالمي في صفوف الأعداء، وبروز قوى عالمية جديدة ليس للمسلمين تناقضات قوية معها، مع تنامي مطرد في القوة الذاتية، مما سيوفر لتيار القاعدة والجهاد الإسلامي، فرصة ذهبية لاعلان قيام دولة الإسلام.

اعلان الدولة هو الهدف الإستراتيجي للقاعدة. لأنه يعني عندهم:

ـ القدرة على التحكم والقيادة.

ـ الفرصة لإعادة البناء والإعمار الحقيقي.

ـ القدرة على تحفيز طاقات الأمة وإمكانياتها وقدراتها البشرية والمادية، وتوظيفها التوظيف الأمثل لخدمة قضاياها وتلبية احتياجاتها.

ـ خلق توازن قوى دولي جديد سينكفئ معه المعتدون على الأمة إلى جحورهم.

ـ إحقاق الحق ونشر العدل والحرية والمساواة على هذه الكرة الأرضية.

سيحقق وعد الله «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» الامر الذي سيؤدي إلى إنهيار ونهاية كل الأنظمة الفاسدة في بلاد المسلمين. وهذا ما ينظر له قادة القاعدة ومفكروها.

6. مرحلة المواجهة الشاملة

يقدر منظرو القاعدة أن بداية عام 2016 ستكون بداية المواجهة الشاملة (بين الفسطاطين) قوى الإيمان وقوى الكفر العالمي، المواجهة الشاملة ستبدأ بعد إقامة دولة الإسلام مباشرة، والعالم حين ذاك سيقسم إلى معسكرين: معسكر إيمان ومعسكر كفر وهذا ما طرحه بن لادن في كثير من رسائله. القاعدة تستند إلى فكرة نابعة من مفهوم آية قرآنية ربانية تعتبرها نظرية في التغيير، الآية تقول «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا».

أي أن الباطل سوف ينتهي ويدمر ويزول عندما يأتي الحق، ودولة الإسلام عندهم تمثل الحق، وعندما تبدأ في صراعها مع الباطل، فإن الباطل لن يستطيع أن يصمد أمامها طويلاً، وسوف يدمر سريعاً، ودولة الإسلام سوف تقود البشرية من جديد إلى بر الأمان وواحة السعادة والإطمئنان.

7. مرحلة الانتصار النهائي

في المعركة الشاملة والمواجهة الواسعة مع قوى الباطل، يرى منظرو القاعدة أنها سوف تحسم في سنوات قليلة، لن تزيد عن بضع سنين.

فقدرات دولة الإسلام وإمكانياتها على الحشد والاستعداد سوف تكون عظيمة وهائلة، خاصة وأن المسلمين حينها سيكونون أكثر من مليار ونصف المليار نسمة، مما سوف يرهب أعداءها ويجعلهم يتراجعون سريعاً وفي المقدمة منهم دولة إسرائيل، التي لن تكون قادرة على الصمود. والقوة الإسلامية الفاعلة سوف توقع الرعب في قلوب أعدائنا وعند ذلك سوف يدرك العالم مفهوم مصطلح الإرهاب الحقيقي وفق الفهم الإسلامي، ذاك الإرهاب الذي يوقع في نفس العدو تأثيراً رادعا يجعله يفكر ألف مرة قبل الإعتداء على المسلمين أو المستضعفين، أو محاولة المساس بأي حق من حقوقهم.

هذه المرحلة هي المرحلة النهائية في خطة القاعدة المرسومة، هذه الخطة التي باتت تعطي القاعدة مصداقية وواقعية لم يسبق لحركة إسلامية معاصرة أن تمتعت بها، هذه الخطة المتكاملة إضافة إلى الأهداف الواضحة سوف تساعد القاعدة على الاستمرار في التقدم والنجاح إضافة إلى عوامل أخرى ستساعد على ذلك، منها حسبما يرى منظرو القاعدة:

واقع الأمة الإسلامية

إن الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية واقع صعب، وغير سليم، فالأنظمة التي تحكم الأمة في مجملها أنظمة متخلفة ظالمة مسلوبة الإرادة والوعي، تدور في فلك أعداء الأمة، وتمارس فعلاً مبرمجاً يهدف إلى إبقاء الأمة ضعيفة غير قادرة على الخروج من دائرة الانحطاط والتخلف، حكامها سلبوا الأمة سلطتها وتعاونوا مع الأجنبي على نهب ثرواتها وهم يمارسون كل الأساليب ويبذلون كل الجهد لإخفاء الحقيقة عن الجماهير، هذه الأمور مجتمعة أصبحت واضحة المعالم، وشباب الأمة وجماهيرها باتت واعية وقادرة على الوقوف على الحقيقة بكل أبعادها وتفاصيلها، والجميع يتطلعون بشوق لليوم الذي يتخلصون به من هذه الأنظمة، ومن هذا الواقع السيئ المرتبط بها. والقاعدة عندما تطرح نفسها كقيادة بديلة للأمة في ظل هذا الواقع، فإنها سوف تلقى قبولاً وتأييداً من قطاع واسع من أبناء الأمة، خاصة إذا ما اعتمدت خطابا جيدا معقولا قادرا على التعاطي مع كل ما سلف بحكمة وخبرة ووعي.

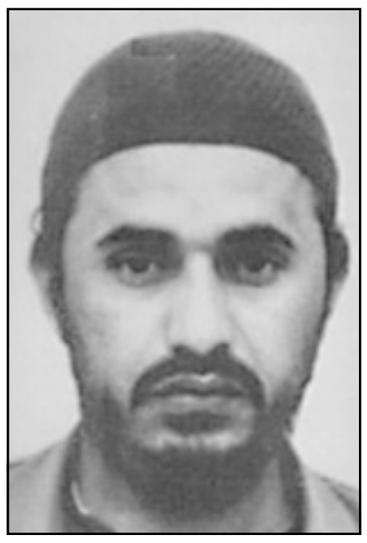

ابو مصعب الزرقاوي

واقع التنظيمات والأحزاب السياسية والعربية:

التنظيمات والأحزاب العاملة على الساحتين العربية والاسلامية فشلت في الوصول إلى تحقيق رغبات وأماني جماهير الأمة، والتي تتمحور في عمليتي التغير والتحرير، فمعظم هذه التنظيمات والأحزاب لم تعد تمتلك خططا ولا برامج ولا رؤى صحيحة للتعامل مع الواقع، بل كيفت أوضاعها بما يتلاءم مع مصالح قياداتها وبعض أفرادها المتنفذين، فمنها من تصالح مع الأنظمة ولم يعد يسعى لتغييرها، ومنها من قام بعملية تطويع ولي لمسلمات العقيدة والفكر الإسلامي وبديهياته حتى تتوافق مع ديمقراطية الأنظمة وعلمانيتها، ومن التنظيمات من صالح عدو الأمة والتقى معه في منتصف الطريق، ولم يعد على تناقض معه مقابل وعود وصفقات غير قابلة للتنفيذ والتحصيل.

فمع هذا الفشل وهذا الانحراف الحاصل ـ وفق تحليل القاعدة ـ بات شباب الأمة وجماهيرها يترقبون أي قادم جديد تتوفر فيه الصفات اللازمة المنشودة.

والقاعدة ترى أن تيارها هو القادم الجديد الذي يتمتع بهذه الصفات، فمد القاعدة سوف يتعاظم وتيارها سوف ينتشر ويمتد وفق هذه الرؤية.

العدوان الدائم والمتجدد

يعتقد منظرو القاعدة أن العدوان الذي تتعرض له الأمة الإسلامية ومنذ حوالي قرنين من الزمن، واحتلال أراضيها ونهب ثرواتها وهدر كرامتها وسلب حريتها وإدارتها، بصورة متواصلة متتالية حتى لا يكاد ينتهي أو يتوقف، ترك ويترك جراحات نازفة في جسد الأمة، فما يحدق في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير والسودان وارتيريا والفلبين، تعتقد القاعدة أنه كاف لاستفزاز ضمائر المسلمين، وحثها على البحث عن ملاذ أو مخرج أو للجوء إلى ركن شديد يمكن الأمة من رد هذا العدوان.

فالقاعدة بأسلوبها ونهجها في مواجهة العدو تصبح هي أمل الأمة الواعد في رد الصاع صاعين لهؤلاء الأعداء.

تحقيق الانتصارات

تستمد القاعدة نظريتها في تحقيق الانتصار على نظرية ربانية تقول «إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً» (سورة الفتح).

ما أسلفناه كان سورة من سور القران الكريم نزلت بعد نصر كبير حققه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، النصر كان فتح مكة. تلا هذا الفتح دخول أعداد كبيرة من عرب الجزيرة طواعية الدين الإسلامي. أي انتصار، كبيراً كان أم صغيرا، يحققه تيار القاعدة، يفتح الباب على مصراعيه أمام أعداد كبيرة من شباب الأمة للإلتحاق بصفوفها، والإنخراط في مجالات عملها التي أصبحت متعددة ومنتشرة في كل مكان من هذا العالم، وبات الذي لا يستطيع الالتحاق بمركزه مباشرة يعكف على انشاء بؤرته الخاصة التي تدور في نفس الفلك، وتتغذى من نفس الفكر والنظرية، ساعياً الوصول إلى نفس الهدف عبر استخدام نفس الوسائل والأدوات والأساليب، وترى القاعدة أن هذا الأمر يزيد ويتعاظم في ظل تمادي عدوان الأمريكان واليهود، وهم يخططون لتوسيعه يومياً، وترى القاعدة إن انتشار الأمريكيين وتوسعهم أكثر في ساحات الوطن الإسلامي يمكن المجاهدين من الاشتباك معهم بشكل أسهل وأوسع، وأي اشتباك يعتبر في نظريتهم انتصاراً، لأن الأمة فقدت زمن الاشتباك والمعارك الحقيقية منذ زمن. استراتيجية القاعدة هذه كما رأينا تقوم على خطة واضحة المعالم والمراحل، فأهدافها محددة ووسائلها جلية، خطتها مبنية على فهم جيد لمراحل التاريخ، وقائمة على توقعات متسلسلة منطقية، أحد أساليبها في العمل التخطيط المسبق للتعاطي مع الحدث القادم، ومحاولة استثماره استثماراً جيداً ومفيداً، قوتها المتنامية تستند فيها على قدرتها في تفعيل طاقات الأمة الكامنة، خيارها الوحيد هو الإستمرار في خوض الصراع حتى النهاية. هذا الاستمرار سوف يستنزف طاقات عدوهم وإمكانياته ويضعفها. رؤيتها تقوم على الفعل والمبادرة وصناعة الحدث واستغلاله.

رسالتها عالمية تهدف إلى رفع الظلم والجور عن المستضعفين في العالم، لا مجال أمامها للصلح أو المهادنة أو الالتقاء مع العدو في منتصف الطريق. الحلول التي تطرحها جذرية تستند إلى أحكام شرعية وإلى فهم متميز للواقع المعاش.

مقاتلوها ومجاهدوها لا يعدون الموت خسارة، ولا هزيمة في معركة ما نهاية، لأنهم مقتنعون بالوعد الرباني بالنصر والتمكين لعباد الله الصالحين، وإنطلاقاً من كل ذلك فهم يبشرون كل المؤمنين والمستضعفين بحتمية النصر المبين.

* كاتب وصحافي من الاردن

مارتن لينغس: ولي صوفي كتب أشهر سيرة للرسول الأعظم بالانكليزية

ابراهيم درويش

■ قبل ظهور كتاب «محمد: حياته بناء على المصادر الاولية» (1983)، لم يكن في اللغة الانكليزية كتاب جامع، ويقدم سيرة الرسول الاعظم كما قدمتها المصادر الاسلامية الاولى، سيرة ابن هشام وابن اسحق، وكتب التواريخ والمغازي. وكان مارتن لينغس، الصوفي الذي ذهب للقاهرة لزيارة صديق له كان يدرس في الجامعة، واعتنق الاسلام وتسمى باسم ابو بكر سراج الدين، هو الشخص الذي قدم هذه السيرة التي اصبحت ذائعة الصيت بين القراء الانكليز، المسلمين منهم وغير المسلمين.

وكان لينغس الذي اعلنت وفاته ناشرته الامريكية في يوم 12 ايار (مايو) الحالي قد شارك في المهرجان الذي اقامه مسرح غلوب الشكسبيري في بداية هذا العام، حيث قدم محاضرة عن اثر الاسلام والثقافة الاسلامية الصوفية على الكاتب الانكليزي العظيم شكسبير.

ولكن اهمية مارتن لينغز «1909 ـ 2005» تنبع من كتاباته عن الصوفية التي اصدر فيها عددا من الكتب اهمها كتاب «ماهي الصوفية»، وكان امينا ولفترة طويلة على المخطوطات والكتب الاسلامية في المتحف البريطاني. وكتاب «محمد» مثل ترجمة يوسف عبدالله علي لمعاني القرآن الكريم، قدم السيرة النبوية في لغة انكليزية رقيقة، يشبه العمل الروائي في سحريته، وحفاظه على الق السيرة وطابعها الخاص، واسلمته للغة الانكليزية، وفي الكتاب حس من الدهشة والتملك الذي يمسك القارئ عندما يبدأ صفحاته حتى القارىء المسلم الذي يعرف تفاصيل حياة الرسول الاعظم. ويظل الكتاب مرجعا لدراسي الاسلام والقادمين الجدد اليه.

فبعد الانتهاء من قراءته يشعر القارىء انه عايش الاحداث بل وشارك فيها. وقاده اهتمامه بالصوفية لاعادة النظر في اثرها على كتابات واعمال شكسبير في كتاب اصدره عام 1996. وحصل مارتن لينغز، الذي اصبح حكيم المسلمين في الغرب، على العديد من الاوسمة والتقدير من الدول العربية والاسلامية، خاصة مصر والباكستان. وعكست رحلة مارتن لينغز، علاقته مع الفيلسوف رينيه غوينون، وفريثيوف شوون، الذي اعتبر التاريخ قصة مثيرة للاسف عن تراجع الانسان، وخلاص الانسان لا يتم الا من خلال التمسك بالدين. ويعتبره الكثير من الاتباع «وليا» عاش حياته وعصره بناء على المبادىء الروحية للاسلام، فيما اعتبره الغربيون، كاتبا مثيرا، قادراً على اثارة المشاكل الكبرى وعرضها بطريقة مدهشة. وقد قدم الامير تشارلس، ولي العهد البريطاني لكتاب لينغس، «فن شكسبير المقدس: عندما نحمل عبء لغز الاشياء»، وكتب الامير البريطاني في المقدمة قائلا «ان قدرة مارتن لينغس تكمن في قدرته على توصيل، اكثر من اي شخص اخر، العنصر التحتي المسرحي للنص، تاركا للقارئ انطباعا دائما، ليس عن هذه الاعمال الرائعة ولكن عن الرجل الذي يقف وراءها».. وعكست اعمال لينغس الاخيرة المشاكل الروحية التي تواجه العالم «الساعة الحادية عشرة: المشكلة الروحية للعالم الحديث في ضوء التقاليد والنبوة» الذي صدر عام 1987، والذي تنبأ فيه بنهاية العالم.

ولد مارتن لينغس في 24 كانون الثاني (يناير) 1909 في لانكشاير البريطانية، وتربى كمسيحي، ثم اصبح فيما بعد ملحدا. وتخرج من كلية ماغدلين، جامعة اوكسفورد، ودرس الانكليزية على يد الكاتب والفيلسوف سي اس لويس الذي اصبح صديقه. ودرس في عدد من الجامعات الاوروبية، وذهب الى ليتوانيا لتدريس اللغة الانكليزية القديمة. وفي عام 1939 ذهب للقاهرة لزيارة صديق له كان يدرس في جامعة القاهرة، الجامعة المصرية في حينه. وكان يتشارك معه الحماس لافكار الفيلسوف غوينون، والذي انتقل من فرنسا لمصر عام 1930، واصبح هذا الصديق مساعدا للفيلسوف. وعندما سقط صديقه عن حصان له ومات، عرضت الجامعة على لينغس الوظيفة التي قبلها. وتعلم العربية للتواصل مع المصريين، حيث علمته اياها زوجة الفيلسوف الفرنسي المصرية.

واعتنق الاسلام، حيث اصبح فيما بعد من اتباع الفيلسوف، حيث تبنى الفكرة الرئيسية التي تقول ان كل الاديان تشترك في الرسالة الروحية الخالدة. وعاش لينغس قريبا من الاهرام، حيث كان كل عام يقوم باعداد مسرحية من مسرحيات شكسبير. واضطر لينغس للرحيل الى بريطانيا بعد احداث الشغب التي استبقت الثورة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر عام 1952 واكمل دراساته العليا في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية، حيث كانت اطروحة الدكتوراة التي قدمها عن الصوفي الجزائري احمد العلوي، وقد نشرها في كتاب عام 1961 تحت عنوان «ولي صوفي من القرن العشرين»، واعتبره المهتمون بالادبيات الصوفية من احسن الكتب الاكاديمية التي اتسمت بالعمق يقدمه باحث غربي. وتعاون لينغس مع فريثيوف شوون، على دراسة الصوفي الجزائري، وادى به لأن يتبع تعاليم ومدرسة الفيلسوف هذا المتشائمة وذات البعد ال